فرأى رعماً عن هذا التشدد كله تجمد روح امرأة ثم تجمد روح رجل جلس اليه كلاهما واعطوه هو والمجربين معهُ قوائم لارجلهم

هذا بعض التجارب التي عملت لاخذ القوالب في اكبر عواصم العالم المتمدن وعلى ايدي رجال سرت الشكوك مع دمائهم وهي تثبت بالحس ان المجربين لم يكونوا مخدوعين ولا مصابين بالاستهواء وان تلك الاشباح المتجلدة لها وجود حقيقي في الخارج وليست بصور خيالية . واني اترك للقراء الحكم على تلك التحوطات وعلى قيمة المجربين واذكرهم بان هذه التجارب تعمل منذ سبعين سنة الى اليوم ولم يستطع منكر اثبات التدليس فيها. وليست هذه التجارب بشيء في جنب ما سيراهُ القراء . فالحدث الذي حنى رؤوس اقطاب المذهب المادي واركان العلم الرسمي في اوربا ليس بالشيء الصغير . ولا عجب ان حنت هذه المشاهدات ارفع الرؤس فان المكابرة في المحسوسات ليست من العلم ولا من الحكمة. والكون كبير وقواه لا تحد وما علمناهُ منها بواسطة حواسنا الخمس القاصرة لا يعد بجانب ما لم نعلمهُ شيئاً فيا صاح لا تقنع بانك صاح

محمد فريد وجدي

محاكم الالمان

ومحاكمة مس كائل

(تابع ما قبلهُ)

وبعد نحو ساعتين أُدخلت الى المحكمة وأُجلست امام المدعي الحربي وجلس المترجم الى جانبي وسئلت هل جندت رجالاً في سن العسكرية وانا عالم ان عملي هذا ينفع الحلفاء ويضرُّ الالمان . فاجبت نعم

فقال المترجم انك وطني غيور فهل تعترف انك كنت تتخابر مع الاشخاص التالية اسماؤهم واعطيتهم نحو الف فرنك

فقلت نعم

وهنا طلب المحامي عني ان يقدم كتاباً من مكاتب جريدة المانية كنتُ قد خدمتهُ في امر من الامور فشكرني في كتابهِ. فسئلت هل اعرفهُ فاجبت نعم.

وأخرجت وقد قام في ذهني ان ما حدث هنا كان مقدمة التحقيق لكن لم يكن الامر كذلك فقد انتهى التحقيق هناك

وبعد قليل وقفت المحكمة وذهب المحامي وبقيت انا ورفاقي وجعلنا نتحدث همساً فيما يظن كلٌّ منا ان يكون عقابهُ . وصارت الساعة الثالثة بعد الظهر ولم يأتونا بالطعام وبعد قليل دخل بعض الجنود وممهم قدر كبير مملوء بالشوربا واثنتا عشرة صحفة كبيرة فلأنا الصحاف وجلسنا حولها وقد تركنا الحرس وذهبوا ليتناولوا طعامهم فاكثرنا من الكلام والجلبة ونحن نأكل بين كراسي اعيان الامة فكان منظرنا يضحك الثكلى . ثم جاؤنا بالقهوة وهي ماء اسود . وبعد قليل دخل المترجم وامرنا بالصمت فصمتنا وجلس كلٌّ منا في مكانهِ ثم دخل الضباط فامرنا المترجم بالوقوف فانتصبنا ونادى منظم الجلسة قائلاً انتظمت الجلسة

وكان معي في الاوتوموبيل الذي اتيت بهِ رجل طويل القامة نحيف الجسم كان متهماً بتوقيع وصل بانهُ قبض ثمن طعام لخمسة رجال من الفرنسويين المجندين . وقد وجد هذا الوصل في بيت الامرأة التي كانوا نازلين عندها . وقد قُبض عليها بدعوى انها هي التي اخذت الثمن وهو مشارك لها في الجريمة لانهُ وقَّع الوصل . ولما سئل اجاب انهُ انما وقع الوصل عنها لانها كانت مشغولة ولكنهُ لا يعلم شيئاً من امر هؤلاء الرجال

ثم دعي المعدّنون الذين انزلوا جرحى الانكليز في بيوتهم فقال واحد منهم ان جريحاً جاءهُ وطلب منهُ ان يوآويهُ في بيتهِ فشفق عليهِ وادخلهُ بيتهُ ثم اوصلهُ الى بروكسل حالما تمكن من ذلك . وقال آخر ان رجلين من الانكليز جاءاهُ ذات يوم وطلبا منهُ ان يخبئهما في بيتهِ ففعل وبقيا عندهُ ستة اسابيع او سبعة الى ان جاءت المرأة لويز واخذتهما الى بروكسل

فسألهُ القاضي هل دفعوا لك شيئاً

فقال كلاَّ ولم نشبع كل مدة بقائهم عندنا فاذا اردتم ان تحسنوا اليَّ فردوني الى بيتي لان زوجتي اضطرت الى التسوّل في غيابي . ثم دعي كثيرون من الصناع والبقالين ونحوهم فسئلوا عمَّا نُسب اليهم اما الذين لهم الشأن الاكبر في هذه الدعوى فلم اسمع ما قالوهُ لانهم سئلوا قبلي . واتى بغلام بثياب سوداء فقال لهُ المترجم اجلس وقل ما اسمك . فقال بودار . وكم عمرك . فقال اربع عشرة سنة . فقال

المترجم يجب ان تحلف بانك تكلم الصدق هل لك والدان او وصي فقال نعم وقالت امرأة بثياب سوداء انا امهُ . وهي من اكبر المتهمين في هذه الدعوى فحلف الفتى اليمين المعتادة وقال لهُ المترجم لا تنسَ ان الشرائع الالمانية تعاقب من يحنث بيمينهِ بالسجن عشر سنوات وزد على ذلك ان الحنث خطيئة عظيمة عند المسيحيين

وشهد هذا الفتى ان المسيو بوك قال في بيتهِ امام امهِ وامام السيدة توليه « انهُ مهتمٌّ بايجاد سكة امينة للصعود الى حدود هولندا » وانهُ اتاهُ برزم من الجريدة البلجيكية ليبر بلجيك ليوزعها فوزعها حسب ارشاده

فاعترضهُ المسيو بوك وقال اني لم اقل لهُ انني مهتمٌّ بايجاد سكة بل قلت انهم اهتموا بايجاد سكة

ثم قام المدعي الحربي ولخص ما قالهُ المتهمون والشهود وبيّن ما في اقوالهم من التناقض وما يحتمل وقوعهُ من الخطإ بسوء فهم المحقق . وعندي انهُ اصاب في قولهِ ولكنهُ اهمل امراً جوهريًّا وهو ان المحقق كان يضغط على المتهمين ضغطاً شديداً حتى يضطروا ان يجيبوهُ حسب هواهُ (وقد اسفت حينئذٍ لانني لم اتلطف فيما قلتهُ من الجواب عن بعض الاسئلة) . واستنتج من ذلك كلهِ ان هناك مكيدة مدبَّرة وان المتهمين مشتركون فيها كلهم وهي لا تقتصر على تجنيد الجنود بل تتناول التجسس وقال انهُ واثق بانهُ كان لدى بعض المتهمين معلومات حربية مهمة وينظن ان هجوم جوفر الاخير استفاد من هذه المعلومات ولذلك فالعمل خيانة كبرى وعين الغد لاصدار الاحكام

وأُرجعنا الى السجن ونحن نتحدث بما حدث وبما ينتظر حدوثهُ . وجيء بنا في الصباح الى المحكمة وكانت قد عقدت في مجلس النواب واجلسونا الى اليمين وجلس القضاة الى اليسار وجلس المحامون تحت المنبر وافتتح المدعي الحربي الجلسة كما فعل في اليوم السابق وبسط وقائع الدعوى فقال قام وراء جيش الالمان عمال يعتنون بالاسرى الفارين ويردونهم الى حومة القتال فالذين وجدوهم في ولاية منس انزلوهم في بيوتهم واعطوهم جوازات مزورة وجاؤوا بهم الى بروكسل وانزلوهم في بيوت المكان والنادق الصغيرة ثم نقلوهم الى هولندا حيث وجدوا بعض اهالي البلجيك وغيرهم من حلفائهم فنقلهم هؤلاء الى فرنسا . ومدبرو هذه

المكيدة في فرنسا واسطتهم برنس ده كروى تساعده اخته برنسس ده كروى وكونتس بلفيل ومدام وازل توليه وفي البوربناج المهندس كابيو والمحامي لبيه والسيد لابي درفو . وفي بروكسل مس كاثل وكان المسيو سفرين ومدام بودار والمسيو هوستله الوطني الفيور يدبرون الاموال اللازمة لذلك فيدفعون اجور الادلاء ونفقات الجنود ومصاريف السفر الى هولندا واخيراً قام المسيو بوك الذي دبّر خطة السفر ووزع جريدة ليبر بلجيك وكان في يده المعلومات الحربية . وهذا العمل خيانة كبيرة وعقابها الاعدام ثم جعل يقرأ العقوبات التي يشير بها وهي

بوك الاعدام . مس كاثل الاعدام . برنس ده كروى سجن عشر سنوات وهكذا الى ان وصل اليّ فقال وللمسيو هوستله الوطني الفيور سجن عشر سنوات . وانتقل الى الادلاء والمضيفين وكان عقابهم السجن مدداً مختلفة من سنة الى خمس سنوات

فظهر على وجوه القضاة انهم استثقلوا هذه الاحكام وامتقعت وجوه المحامين واضطرب المتهمون او علتهم الكآبة الاّ مس كاثل فانها بقيت مالكة روعها واتكأ بوك على المكتب الذي امامهُ ساقداً ذقنهُ براحتيهِ كأنهُ اصيب بصاعقة . والتفتت مدام وازل توليه يمنةً ويسرةً كأنها تريد ان تتأكد انها ليست في حلم . واحمرّت وجنتا كونتس بلفيل وظهر عليها كأنها ذهلت عن نفسها . وكان المسيو لبيه جالساً الى جانبي فرأيتهُ اصفرّ وجعل يعبث بشاربيهِ . وكان في يد المسيو سفرين ورقة فيها دفاعهُ فوقعت من يده

وترجم المترجم الاحكام الى الفرنسوية وكان صوتهُ القبيح كأنهُ دقة الحزن فاغمي على مدام ك

وأذن حينئذٍ للمحامين ان يدافعوا عنا . وكنا نعلم ان دفاعهم قلما يجدي نفعاً فلم نعلق عليهِ شأناً كبيراً اما انا فسرّني عني لانني علمت ان زوجتي نجت اما سجن عشر سنوات او خمس عشرة سنة لا يهمني لانني اعلم ان الحلفاء سينتصرون قريباً فانجو ومهما خفض عدد السنين التي حكم عليّ بها لا يبقى منها اقل من المدة الباقية لفوز الحلفاء . اما الذين حكم عليهم بالموت فهل يحتمل ان يبدل هذا الحكم بغيره

وقام المحامي دوروف فانكر تنظيم مؤامرة وقال ان الامر جاء عرضاً بحكم الاحوال فاندفعنا اليهِ بحبنا لوطننا ولنوع الانسان . والصفقة هي التي حملتنا على التخابر

اولئك الرجال الذين كان وجودهم في بيوت السكان موجباً لتعريض السكان للخطر. وقد فعل الالمان انفسهم ما يماثل ذلك في بروسيا وفاليسيا. ويستحيل ان يعاقب المتهمون عقابات صارمة على مثل هذه الجرائم التي تمس السكان اكثر مما تمس الجيش. يقال انهُ كان الواجب عليهم تسليم الجنود الفارين الى اولي الامر فلا يقع ضيم على السكان ولكن من يستطيع ذلك وفي نفسهِ شجاعة وحب لوطنهِ. العقاب لا بدَّ منهُ ولكن يجب ان يكون على نسبة الذنب والذنب مخالفة لا جناية. ثم تكلم عن كل واحد من موكليهِ على حدة فبيَّن ان المسيو بوك لم يقل اعددت الطرق بل أُعدَّت الطرق. ولما جاء الدور اليَّ سلَّم اني وطني غيور كما وصفوني وقال ان شهامتي دفعتني الى فعل ما فعلت واثنى على اخلاقي وعلمي. ولكن لولا كتاب المكاتب الالماني لكان كلامهُ عتابة تأبين لي وقت دفني. فنظر القضاة اليَّ بشيء من الاعجاب او الاستغراب

وتكلم كايو فقال ان كل ما قيل عن تنظيم المؤامرة جديد لم يكن يعرفهُ وهو انما فعل حسب مقتضى الحال وقد بولغ كثيراً في التهم التي اتهم بها فقد قالت مس كاثل انهُ اعطاها الف فرنك والحال انهُ لم يعطها شيئاً. وطُلب من مس كاثل حينئذٍ ان ترد عليهِ فوقفت وقالت انها اخطأت فيما نسبتهُ اليهِ

فقال لها المترجم ولماذا كذبتِ

فقالت ان ذاكرتي كانت مشوشة ثم تذكرتُ انني اخذت النقود من غيره

ولما جاء دوري تقدمت وقلت انهُ لما سألني المدعي الحربي هل فعلتَ ما فعلت رغبة منك في نفع الحلفاء اجبت نعم ولم ازد حاسباً اني سأُدعى الى امامكم لكي تبحثوا في تفاصيل ذلك فاذا شئتم فاني اقول ان شكل السؤال كان يمنعني من الاجابة بالسلب اذ لا يخفى ان كل احد يرغب في نفع اصدقائهِ وضرر اعدائهِ ولكن هذه الرغبة لا تكفي لاثبات الجريمة عليَّ بل يجب ان تعرفوا كيف نفذتها. والواقع ان نصيبي كان دائماً سلبياً اي انني لم اشجع غيري على العمل لا لانني اكره نفع حلفائنا بل لانني اعرف صرامة القوانين الالمانية وكنت ارى الخطر الذي يحيق بهؤلاء الرجال فكنت اهتم بابعاد الضيوف عن المضيفين وكان لا بدَّ لهم من النفقة ولذلك كانت عطاياي مستمرَّة وكبيرة

ولما اتمَّ المترجم ترجمة كلامي قال لي الطلب تخفيف العقاب فقلت نعم. فكتبوا ذلك

ونهض المحامي كرشن وطلب تخفيف العقاب عن موكليه وتكلم عن مس كاڤل ومدحها لانها خصصت نفسها للاعتناء بالجرحى وذكر ما عملتهُ في البلقان . وقال انها ابتدأت هنا باعالة جرحى الانكليز ثم جاءها غيرهم فاضطرت ان تفعل ما فعلت بحكم الضرورة ولم تجهل الخطر المحيق بها فاجتهدت في تجنبهِ ولكنها لم ترفض مساعدة الذين طلبوا مساعدتها وقامت بما يطلب منها بكل شجاعة على جاري عادتها ولم تحاول الابتعاد عن طالبي مساعدتها هنا كما لم تحاول الابتعاد عن الايثار على نفسها كلما دُعيت لذلك . ومدام بودار وهي انكليزية الاصل بادرت لمساعدة مس كاڤل لما امتلأ منزل مس كاڤل حتى لم يعد يسع احداً فهل يطلب احد قتلها لاجل ذلك . والمسيو سڤرين ساعد مس كاڤل جرياً على كرمهِ المعهود والمسيو D الصيدلاني كان المحتاجون الى مساعدتهِ يقصدونهُ فيها . والصيدلاني في البلجيك يختلف عن الصيدلاني في المانيا فهو هنا مستشار زبائنهِ يقصدونهُ في حاجاتهم وصيدليتهُ ناديهم الذي يجتمعون فيهِ ولذلك لا تعجبوا اذا كان في هذه القضية ستة من الصيادلة وما ذلك الاَّ لتشابه الحالات حيث وُجدوا

والتفت المترجم الى مس كاڤل وقال لها بصوت جهوري ماذا تريدين ان تقولي في الدفاع عن نفسك. فقالت « لا شيء » . وتقدمت مدام بودار نحو القضاة وقالت لي ولدان وقد توفي زوجي حديثاً فاعفوا عني لاجلهما

ووقف المسيو سڤرين وقال ان كل ما فعلتهُ فعلتهُ مدفوعاً بداعي الشفقة لا غير . قبل الحرب لم اكن اضمر اقل حقد للالمان. كان عندي مستخدم الماني ولما طلب للخدمة الحربية في يوليو سنة ١٩١٤ اعطيتهُ نفقات السفر ومن ثم الى الآن وانا اقوم بنفقات بيتهِ . واولادي كانوا في مدرسة المانية

فقال المدعي أصحيح ان اولاده كانوا في مدرسة المانية

فاجيب نعم

وقال الصيدلاني D انهُ لم يكن يحسب انهُ عمل عملاً يحسب جناية تعرّض حياتهُ للخطر ورجا ان يتخذ القضاة جهلهُ سبباً لتخفيف عقابهِ

وقام المحامي برون للدفاع عن البرنس والكونتس وقال في دفاعهِ عن البرنس . اذا نظرتم الى ما ابدتهُ من الكرم والعناية بمرضى الالمان في قصرها فهل تنتظرون منها ان تحرم اصدقاءها من هذا الكرم وهذه العناية ان ذلك فوق

طاقة البشر . لا شبهة ان لاخيها ضلعاً في هذه القضية ولكن هل تؤخذ هي بجريرة اخيها

وكان الدفاع على غاية الاحكام ولاسيما لارتفاع مقام من دافع عنها ولكن ارتفاع مقامها هو الذي حمل القضاة على تشديد العقوبة عليها لتكون عبرة لغيرها. وتكلمت هي ايضاً وظهر ان القضاة راعوا مقامها ولكن كان لا بدّ من جعلها عبرةً على ما بان لنا

وقال المحامي برون عن كونتس ده بلفيل « انها فعلت ما فعلت عن جهل لا عن قصد سيء فهل يقضى عليها لاجل ذلك ». اما هي فلم تدرك حرج موقفها على ما يظهر وكانت تحسب انها في حلم وستستيقظ قريباً

وكان هناك محام المأتي عليه حلّة رسمية الدفاع عن الذين حُكم عليهم احكاماً ثقيلة فوقف ووضع يديه على ظهر كرسي وتكلم طويلاً وسريعاً ودافع عن مدام وازل توليه ولويز متخذاً وطنية الاولى وطمع الثانية حجةً له وطلب تخفيف العقاب عنهما

وتكلمت لويز فقالت انها اتخذت حرفة دليل لكي تحول نفسها واولادها اغراها بذلك المسيو هوستله ومس كاثل . وقد كنت اتوقع ذلك منها وكدت انهض لادافع عن نفسي وعن مس كاثل ولكنني راجعت فكري فوجدت اني قد انجر من ورطة واقع في اخرى لانها سليطة اللسان خربة الذمة

ووقفت مدام وازل توليه فقال لها المترجم ماذا تريدين فقالت تخفيض العقاب فقال لها رجل ورائي اي عقاب هنا اخف من الموت . وكان عقابهُ هو السجن عشر سنوات

ووقفت البرنسس حينئذٍ وقالت ايها السادة اشفقوا على هؤلاء النساء اللواتي طُلب منكم ان تحكموا عليهنّ بالموت . فان الذنب كلهُ عليّ وعلى اخي فاننا نحن كلانا اغريناهنّ عما لنا رغبةً منا في اخراج الجنود الفرنسويين والانكليز » . لكن كلامها وقع على آذان صماء لان القضاة كانوا قد قرروا العقوبات . وقيل لنا حينئذٍ اننا سنُخبَر بها في سجوننا

وخرج القضاة وبقينا نحن في انتظار المركبات والمحكوم عليهم بالموت يفكرون صامتين النساء محمرات الوجوه والرجال صفرها . وكان المكان شديد الحر لكن

لبيه كان يرتجف برداً وامسك رداءه ثيلسهُ فلم يستطع فبادرت اليهِ وساعدتهُ حتى لبسهُ فالتفت اليَّ شاكراً . والفرق الكبير بين المساعدة القليلة التي ساعدتهُ بها والشكر الجزيل الذي بدا منهُ دلني على مقدار ما كان في نفسهِ من القنوط

ونحو الساعة الثانية جاءت المركبات فركبناها وعدنا الى السجن وكان الصيدلاني D جالساً امامي ففتح ساعتهُ وقال « اثنتان ونصف اذا بلغ زوجتي ما حكم بهِ عليَّ ماتت حزناً » وجعل يتكلم عن عائلتهِ فقال ان لهُ ابنتين وزوجتهُ طريحة الفراش منذ ثماني سنوات ومعيشتهن متوقفة عليهِ

ويوم الاثنين ١١ اكتوبر قال لي السجان « انهم يدعونكم اليوم بعد الظهر لتسمعوا الاحكام وقد بلغني ان عقاب المسيو سفرين شديد وانت خففوا عقابك » . فقلت في نفسي لا فائدة من تخفيف عقابي وانما يهمني امر الذين حكم عليهم بالموت . ثم جلست اكتب استرحاماً للقضاة فكتبت صفحة بعد صفحة لا لانني كنت اتوقع قبول استرحامي بل تسكيناً لضميري لان الامر كان قد قضي . ثم صمت الابواب تفتح واذا بالسجان يقول لي حكم على خمسة بالموت . ثم سير بي ورفاقي الى حيث تسمع الحكم ودخل المدعي الحربي بشنبهِ المشمَّع ووجههِ الباش ووراءهُ الترجمان والملازم ومأمور السجن والقسيس واخرج ورقة كبيرة من محفظتهِ وقرأ الاحكام كأنهُ يقرأ جداول الانعام بالرتب والنياشين . وفيها خمس عقوبات بالموت على بوك ومس كاثل وسفرين ومدام وازل توليه وكونتس دي بلغيل اما انا فخفض سجني الى خمس سنوات وبرئت مدام C فانعمي عليها وبرىء رجل كان قد انتحر في سجنهِ وهلمَّ جرًّا

ورأيت مس كاثل متكئة على الحائط صفراء ممتقعة فتقدمت اليها وقلت لها استرحمي . فقالت عبثاً لاني انكليزية وهم في قتلي غرض . وجاء وكيل مأمور السجن اليها حينئذٍ وخرج معها من الغرفة كأنهُ كان يريد ان يقول لها شيئاً

وكان سفرين واقفاً في وسط الغرفة كأنهُ اصيب بصاعقة فدنوت منهُ وقلت لهُ اني كتبت هذا الاسترحام فاكتب انت استرحاماً مثلهُ . فقال اتظن انهُ يجدي نفعاً فقلت جرّب او استشر المدعي اولاً فدنا منهُ وقال لهُ هل يمكن ان اقدم استرحاماً الى الحاكم العام فاجابهُ بالايجاب

وجاءنا القسيس في الصباح وقال ان بوك ومس كاثل قابلا الموت بشجاعة . انتهى